من الأعماق

مهداة الى أخي : محمود حسن اسماعيل

إمتح الشعر يا نديمي، وعقده … فسحر هذا القريض غموضه.
امتح الشعرَ، من هناك، من الأعماق، ملأى بالوسوسات عروضه!
امتح الشعر، لا تكبله بالعقل، فيا صاح، ما للحجا، ما فروضه؟
إمتح الشعرَ، ليس شعراً لديَّ … غير نغم كالنفس يندى وميضه!

***

إيه يا ذكرياتِ أمسي، زمانُ الأمس ولّى، فكيف تحيين بعده؟
إيه، ما حاضر الوجود إذن..؟ ألعمر مهوي... فهل ترومين ردّه؟
«أنا أحيا، لكن حياة أجاج»... ضلّ من يحسب الإجابة عقده!»
«ثم ماذا؟!» — «لا شيء!» تتم لحناً واكتفى هذا أعمق الشعر عنده.

***

ومنات يا قلبُ، بل أبحرٌ، آه، لو دقّ ينتابني عجاجا!
ومضاتٌ من تربة النفس تنزو، ما أبي أبكي نزوها الوهّاجا...
فاقفل الباب، إقفلِ البابَ يا قلبُ، وخذ عني هذه الأمواج:
وتنهدتُ للخلاصِ هنا، قرب مجاذيفِ حيارى تشكي الإدلاجا!

***

«قف بنا الآن يا شراعُ إذن، هذي مجاذيفي أنهكتها الخطوبُ...»
«لم يجب...» «قف بنا» ويهوي يحث السير زورقٌ جنت عليه الغيوب
فوقفتُ وحدي.. أشيّع هذا الموكبَ المرّ — آهِ — وهو يغيبُ:
وحواليَّ الكائناتُ رموزٌ، في فؤادي مفتاحها محجوب!!

(القاهرة) عدنان الزغبي